الثورة على المحك..البداية الصعبة 1954-1955

بقلم الدكتور: زايدي عزالدين
أستاذ محاضر بقسم العلوم الإنسانية- جامعة سيدي بلعباس

مقدمـــــة:

مثّلت ثورة نوفمبر عصارة جهد بذل طيلة قرن و ربع قرن من الزمن في مجالات المقاومة الشعبية - في شتى مناطق البلاد- و العمل و النضال السياسي - بمختلف توجهاته-، و قد سمّيت، وفق وجهات النظر المختلفة، حرب "التحرير الجزائرية"، ثورة الجزائر" أو حتى "أحداث الجزائر".

و كان للأحداث اللاحقة، لاندلاع الثورة، أبعادا أكبر في تسيير هذه الثورة و تنظيمها و إعطاءها البعد "الثوري الشامل" الذي لم ترد فرنسا تقبّله في بداية الأمر. و من ذلك نذكر أحداث مثل: الهجوم على الشمال القسنطيني يوم 20 أوت 1955، و مؤتمر الصومام يوم 20 أوت 1956 و اجتماع القاهرة في أوت 1957، و الإعلان عن ميلاد الحكومة المؤقتة إلى غاية الدخول في المفاوضات الرسمية و الوصول إلى الاستفتاء الذي أدّى إلى تحقيق الهدف المنشود و هو استقلال الجزائر.

إنّ أهمية الموضوع تكمن في أنّه موضوع "شائك" و لا زال على حاله إلى يومنا هذا. و ما طالعتنا به وسائل الإعلام مؤخرا، من صحافة و تلفزيون، في الموضوع هو شهادات هامّة قد تمثّل "مصادر" حقيقية لمرحلة هامّة من مراحل الثورة الجزائرية. غير أنّه يجب أخذ كل هذه الأمور بتحفظ، لأنّ المرحلة حسّاسة و تستلزم العودة إلى "المؤرخين"، الذين هم بحاجة لمثل هذه الشهادات و المصادر، باعتبارها مادّة خام و أوّلية قد تفيد كثيرا في فهم بعض الوقائع و الأحداث، خاصة لمّا تكون صادرة عن شخصيات بارزة، لعبت دورا هامّا في تاريخ الثورة.

إلاّ أنّ هذه الشهادات قد تندرج فيما عرف بخصومات تاريخية متعدّدة الأبعاد و الأطراف و الذي يهمّنا هنا، هو الصراع الذي نشب بين "زعماء الحركة الثورية" حول نتائج مؤتمر الصومام في عدد من "المفاهيم" كانت بمثابة النقطة التي أفاضت الكأس. لأنّه لو اعتمدنا نتائج مؤتمر الصومام كمبرّر لهذه الخصومات، فهذا معناه أنّ منذ البداية و الأمور تسير على ما يرام لكن ذلك خطأ في حق كل من صنعوا الحركة الاستقلالية منذ بدايتها إلى غاية تحقيق الاستقلال.

إنّ تاريخنا هو كما هو، و علينا أن نعتمده كذلك في معالجة القضايا الحساسة، التي قد تؤدّي إلى بروز أفكار و مواقف أكثر عداء قد تؤدّي إلى المجهول! و لذلك لا بدّ من دور للمؤرخين الحقيقيين، في استرجاع أحداث الماضي و فحصها بأسلوب علمي موضوعي بعيد عن كل هذه الصراعات و عن المساعي التضليلية من "المعقدّين" من التاريخ لسبب أو آخر. و الإشكال في هذه الخصومات أنّها قد تجد محامين يدافعون عنها، لكن لا يمكن أن تجد قاضيا للنظر في القضية، لأنّ القاضي هنا - كما قيل- هو التاريخ نفسه.

أوّلا: 1954 سنـة حاسمـة فـي تاريـخ الجزائريين

لا يمكن أن نرجع فكرة اندلاع ثورة نوفمبر إلى سبب الخلاف الذي حدث داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية فقط. بل هو في الأصل نتاج سياسة المستعمر و أساليبه القمعية و الاضطهادية طيلة أزيد من قرن و عشرون سنة، و التي أبقت على أوضاع الجزائريين دون أي مؤشّر إيجابي. يضاف إلى ذلك العقم الذي أصاب مختلف التيارات السياسية التي كانت تنادي بإصلاح أحوال الجزائريين، كلّ من وجهة نظرته الإيديولوجية.

لقد كانت شريحة كبيرة من المجتمع الجزائري غائبة عن موعد أوّل نوفمبر، حيث لم يكن يعلم بالأمر إلاّ أقليّة من المنظمة الخاصة و الذين كان يطلق عليهم: "المتصلّبون" (1) "Les Durs". و حتى من الوطنيين كان هناك غائبون، إمّا بسبب عدم إيمانهم بالعمل الثوري كحلّ لأزمة الجزائر أو لظنّهم أنّ الوقت لم يحن بعد للعمل المسلّح (2). و في هذه الأوقات العصيبة التي كانت تمرّ بها حركة انتصار الحريات الديمقراطية، اتّفقت جماعة من الشبّان على إنشاء تيارا ثالثا داخل الحركة. و كان ذلك في ربيع 1954.

كانت الجماعة في غالبيتها منحدرة من المنظمة الخاصة للحزب، فحاولت إنشاء حركة مسلحة جزائرية منذ 1950، لكن السلطات الفرنسية استطاعت أن تفكّك هذه المنظمة و تزج بأغلب عناصرها في السجن. أمّا بقية الأعضاء، فمنهم من هاجر إلى خارج البلاد، مثل: "آيت أحمد و بن بلّة و خيضر"، و منهم من أصبح ينشط في الخفاء (3).و قد حملت اسم : "اللجنة الثورية للوحدة و العمل" "C.R.U.A". و كانت مهمّة هذه الجماعة، في بداية الأمر, محاولة "ترميم" مبنى M.T.L.D ، الذي أصبح مقسّما بين أنصار "مصالي الحاج" و المخلصين للسيد "حسين لحول" و الذين كانوا يعرفون بالمركزيين.(4).

في الحقيقة لم يكن مصالي ضدّ فكرة العمل المسلح، و لكنه كان يريد الإشراف بنفسه على كلّ حيثيات العملية و يحدّد هو التاريخ و المكان. أمّا لحول فقد تعهّد بمساعدة مالية للجنة الثورية للوحدة و العمل من أجل شراء الأسلحة فقط.(5) لأنّه كان يعتبر أنّ انتفاضة مسلحة لابدّ أن تكون وطنية و معمّمة, و أن لا تخضع للتسرع. و بعبارة أوضح لم يكن الوقت مناسبا لمثل هذا العمل (6)، و بعدها تسارعت الأحداث حيث تمكنت جماعة شبان C.R.U.A من إقناع كل من "كريم بالقاسم" و "عمر أعمران" بالالتحاق باللجنة الثورية للوحدة و العمل، لأنّه لم يعد هناك مبرّرا للانتظار طويلا، خاصة و أنّ "مصالي الحاج" يرفض كل إمكانية التفاهم !

أما "بطاط" فقد اهتمّ بالتجنيد في الشمال القسنطيني و بن مهيدي بالغرب، و ديدوش بالوسط الجزائري، أمّا بن بولعيد فكان يمثّل بالنسبة للأوراس ما كان يمثّله كريم بالنسبة لناحية القبائل، أي القائد الأكبر للمناضلين الوطنيين .و هكذا عكف المسؤولون ، كل في منطقته، على الدخول في اتصالات مع المناضلين الأكثر استعدادا للحرب.

فمن "الدوّار" إلى "الدّشرة" و من الأوراس إلى الغرب، استطاعوا تجميع قواتهم. و منه انطلقت عملية تعيين "قيادة الأركان" التي ستقوم بمهمّة التجنيد دون أن تهمل أهمّية "المخابرات البوليسية العامّة".و هنا يمكن أن نستنتج أنّ الجماعة قد استفادت من دروس الماضي بعد تفكيك المنظمة الخاصة في 1950 (7).

إنّ موعد أوّل نوفمبر كان موعد "النخبة الثورية" (8)، التي كانت لها الجرأة على إشعال فتيل الثورة و هذا رغم الظروف الصعبة. و منه التمهيد لبداية حرب تحريرية طويلة . إذن كلّ العوامل كانت مهيّأة، خاصة منها "ثلاثة" أثّرت بشكل كبير في اتخاذ القرار النهائي و الحاسم في إعلان الثورة ضد فرنسا، و هي:

- العامل الداخلي: حيث أنّ الرأي العام الجزائري أصبح يتابع باهتمام ما كان يجري في تونس و المغرب و كان يرى أنّ الخلاص يكمن في توحيد جبهة شمال إفريقية ضدّ المستعمر.
- العامل الخارجي: كان هو الآخر في صالح الوضع العام، حيث أنّ الاتصالات مع بن بلة و أيت أحمد و خيدر في القاهرة كانت على أحسن ما يرام. و قد تمّت اتصالات في "جنيف" و "طرابلس" مع المغاربة و التونسيين من أجل مدّنا بيد المساعدة. و في نفس الوقت أكّد "بن بلة" على الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه مصر في مساندتها للثورة منذ البداية.
- فجاء سؤال بوضياف: هل الوقت مناسبا لإعلان الثورة ؟ أم علينا أن ننتظر و نحضّر جيّدا لإعلانها ؟ فكان الردّ تلقائيا و بالإجماع اتفق الجميع على إعلان الثورة على فرنسا. فكان هذا العامل الثالث ! (9).

ثانيا: 1955 القوة العسكرية الكامنة للثـورة على المحك

تندرج الثورة الجزائرية ضمن الأحداث البارزة للنصف الثاني من القرن 20 الميلادي و قد جلبت لنفسها إكبارا و تعاطفا لدرجة جعلت منها الثورة التي يضرب بها المثل عبر العديد من مناطق العالم. إلاّ أنّها كغيرها من الثورات، عرفت مأساتها و اضطراباتها، إلى درجة أصبح نخشى على مستقبلها (10). قد يظهر لأوّل وهلة أنّ العنوان قد يكون مبالغ فيه، لكن لو نتأمل صفحات "كرونولوجيا" سنة 1955، لوجدنا ما قد نؤلف به موسوعات حول هذه السنة الحاسمة في تاريخ الثورة الجزائرية، باعتبار أنّ الثورة لا زالت في مهدها، من جهة، و أنّ فرنسا قد جهّزت كل وسائلها و طاقاتها لقمع هذه الثورة. بدليل ما صرّح به "فرنسوا ميتران" في اجتماع بوزارة الداخلية (11) عندما اعتبر أنّ الاحتجاجات لن تكون مقبولة إلاّ في إطار "الأمّة الفرنسية". فازداد المستعمر ضراوة في قمع الثورة و محاولة عزلها عن الشعب و العالم الخارجي معا.

إلا أنه علينا أن نشير إلى ما اتفق عليه أعضاء لجنة الستّة (Les Six) يوم 23 أكتوبر 1954، في أن يلتقوا في شهر جانفي 1955 لتقييم المرحلة الأولى للثورة (12)، لكن لم يكتب للقاء المذكور أن ينعقد لأسباب عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- استشهاد "بن عبد المالك رمضان" النائب الأوّل للعربي بن مهيدي في ناحية الغرب (13).

- استشهاد "باجي مختار" أحد رموز القيادة الثورية في منطقة سوق أهراس يوم 18 نوفمبر 1954.

- استشهاد "ديدوش مراد" قائد الناحية الثانية (الشمال القسنطيني) و هو في ريعان شبابه (14).

تعاظمت مصائب الجبهة بعد إلقاء القبض على "مصطفى بن بولعيد"، قائد الناحية الأولى (الأوراس- النمامشة) يوم 11 فيفري 1955 في الجنوب التونسي، ثمّ "رابح بطاط" قائد الناحية الرابعة (الوسط الجزائري) يوم 23 مارس بعد أن نصب له كمين (15). و مع نهاية الشهر الخامس للانتفاضة الثورية، فقدت الجبهة نصف قيادتها... يضاف إليها الانشغالات الكبرى و المستعجلة لكل من "بن بلة" في الشرق، بحثا عن الأسلحة و كيفية إيصالها إلى جيش التحرير، و وجود "بوضياف" في الريف المغربي، في اتصالات مع جيش التحرير المغربي.الذي كان في طور التكوين، من أجل تموين الجبهة الغربية للثورة الجزائرية.

إذن، الثورة على أبواب الفشل !! و لم يبق سوى بعض "الجيوب" في الشمال القسنطيني و ناحية القبائل و القطاع الوهراني لمواصلة مسيرة الثورة بإمكانيات شبه منعدمة.... و عليه البحث على دعم جديد و فعّال، ضروري و فوري. هذا ما سيدفع كل من "عبان رمضان" و "أوعمران" إلى الدخول في اتصال أوّلي مع "فرحات عباس" زعيم حزب البيان، يوم 26 مايو 1955. و كان "فرحات عباس" عجوزا بالنسبة للرجلين قد تعدّى السادسة و الخمسين، قد يكون له دورا عندما تحتاج إليه الجبهة، التي كانت لها مشاريع كبيرة و إمكانيات ضعيفة للقيام بأي عمل عسكري (16).

و أمام النقص الفادح في الأسلحة الملاحظ داخل صفوف جيش التحرير، كان لا بدّ على قيادي الثورة إعطاء عناية خاصة للجانب السياسي، و هذا ما أكّده فرحات عباس في لقائه مع الرجلين حين قال لهما: " المشكل سياسي و علينا أن نبقى واقعيين. فرنسا ستدافع بكلّ ما لديها من أجل الحفاظ على فرنسية الجزائر، و هي تعلم أنّها خلقت مشكلا عويصا و وضعية متشعبة، لكن غرورها يمنعها بالاعتراف بأي هزيمة مهما كان نوعها و علينا أن نعمل على الوصول إلى المفاوضات. و إذا استطعتم إقناع فرنسا بالتفاوض فحينها قد فزتم بالمعركة.... " (17).

و ما يؤكد على صعوبة المرحلة المقبلة بالنسبة للجبهة، هو تخوّف فرحات عباس من مطلب عبان حول حلّ الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري رسميا، و أن ينتظر الأوامر حتى يعلن عن التحاقه بصفوف الجبهة !!؟ . إنّ هذا الموقف يطرح أكثر من سؤال: لماذا هذا الغموض حول التحاق فرحات عباس بصفوف الجبهة ؟ هل لإعطائه وقتا كافيا لجمع المال تحت غطاء حزبه ؟ أم أنّ فرحات عباس أخذ ضمانات بالاحتفاظ باستقلاليته السياسية ؟ (18).

ثالثا: <u>هجوم 20 أوت 1955: المنعـرج</u>

شكّل الهجوم العسكري الذي قادته المنطقة الثانية بقيادة "زيغود يوسف"، نقطة تحوّل هامّة في الحرب ضدّ الاستعمار الفرنسي و ذلك لكثافة الأعمال العسكرية من جهة، و ردود الأفعال الفرنسية من جهة أخرى. لقد تمّ تجنيد الفدائيين و المسبّلين إلى جانب عناصر جيش التحرير و ذلك لشنّ هجوم شامل و مكثّف على مواقع العدو .إلاّ أنّ ردّ فعل الجيش الفرنسي كان وحشيا لدرجة سقوط أكثر من 20.000 ضحية في صفوف المدنيين (19).

هذا العمل الوحشي، لم يزد الشعب إلاّ إصرارا على مواصلة الكفاح من أجل تحقيق الاستقلال، و دفع بالاستعمار إلى محاولة التخفيف من حدّة توتر الأوضاع في الجزائر، فسارع بتعيين والي عامّ جديد، و هو "جاك سوستال" " J. Soustelle" الخبير في اغتيال القضايا العادلة بعد أن كان خبيرا في اغتيال الأفراد، عندما تولّى أثناء الحرب العالمية الثانية مديرية المخابرات الديغولية في الجزائر (20). فكانت خطواته الأولى في الأفكار الجديدة التي حملها معه لإطفاء نار الثورة بالأساليب السياسية (21)، فحاول كسب ثقة المعمّرين و تهدئة الوطنيين، فقام بإطلاق سراح قيادة حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD، لكن ذلك لم يثن من عزيمة و إصرار الوطنيين في التمسّك بمبادئهم.

إنّ أهداف فرنسا من وراء هذا الخيار الإستراتيجي في تكليف "سوستال" بمهمّة من هذا النوع، تكمن في قناعتها بأنّه رجل الوضع. لما له من ماض ثري في مجال الدسائس المخابراتية أو ما يعرف "بغسيل المخ" "Le Lavage de Cerveau" ، كونه رجل مخابرات عريق. كما أنّ سياسة الاستعمار كانت واضحة، منذ اشتداد لهيب الثورة، في تفكيرها في "مخرج إيجابي" من الأزمة التي وضعها فيها حزب جبهة التحرير الوطني منذ أن أعلن عليها الحرب في غرّة نوفمبر1954.

لكن هذه "المراوغات" الاستعمارية لم تؤثّر في مسيرة الثورة رغم كل تعرّضت له في بدايتها، من استشهاد و اعتقال قادتها في الداخل و هجرة الآخرين إلى الخارج بحثا عن المساندة المادية و المعنوية، فكانت حالة الطوارئ التي صادق عليها المجلس الوطني الفرنسي سارية المفعول في كل من الأوراس و القبائل و الشمال القسنطيني ممّا أدّى إلى تقليص مجال العمل و التحرك أمام مجاهدي الجبهة و قيادييها. فانقطعت الاتصالات و أضحى كل جانب يراهن على إمكانياته المحدودة في محاولة

للوصول إلى فكّ هذا الحصار و هذه العزلة التي فرضتها عليه قوى العدوّ الاستعماري، من سياسيين و عساكر - بمختلف أسلحتها- . و ما يدعم هذا الموقف، هو تأكيد وزير الداخلية الفرنسي في شهر جوان 1955 (22) على أنّ هذه المقاومة سوف تنتهي، لأنّنا الآن تعرّفنا على برنامج عملها و قد قضينا على أغلب قادة المناطق و هي ستة. فإذن الثورة أيضا ستموت.... كما أنّ "سوستال" نفسه في حديث لصحيفة "كومبا" Combat الباريسية (23)، لم ينكر القوّة التي كان يمتلكها و التي أمدّته بها حكومة " إدغار فور" آنذاك.

فاشتدّ الخناق على مناطق معيّنة من البلاد، خاصة المنطقة الأولى و المنطقة الثانية و بدرجة أقل المنطقة الثالثة، فكانت إستراتيجية الهجوم الذي وصف بأنّه نموذج تطبيقي لثورة التحرير، حيث سيساعدها على إيجاد متنفّسا جديدا و إعلان شموليتها من أجل زعزعة الثقة التي انتشرت في أوساط السياسيين و العسكريين و حتى الكولون الذين بدؤوا يسترجعون نوعا من الهيبة و التسلّط كانوا قد افتقدوها من قبل. فجاء قرار "زيغود يوسف" قائد المنطقة الثانية في هذا السياق لقيادة هذا الهجوم التاريخي الذي رسمت له أهدافا واضحة المعالم، من أجل كسر شوكة فرنسا المتمادية في غطرستها ضد الأبرياء من المدنيين العزّل في مداشرهم و قراهم و حتى في أماكن عملهم.حيث نذكر منها أهدافا داخلية و أخرى خارجية.

فأمّا الأهداف الداخلية فتمثلت في (24):

- محاولة فكّ الحصار المضروب على منطقة الأوراس من جرّاء العمليات المستمرّة بها.
- التأكيد على استمرارية و شمولية الثورة و تكذيب الادعاءات الفرنسية في هذا المجال.
- إظهار شعبية الثورة من خلال إشراك كل شرائح الشعب في هذا الهجوم.
- رفع معنويات المجاهدين و الشعب معا، حتى لا يبقى مجالا للشك في مسؤولية جبهة التحرير الوطني في قيادة هذه الثورة.
- الهجوم بمثابة رسالة إعلامية "مزدوجة" الأهداف: فهي رسالة لكل المناطق الأخرى لمواصلة الكفاح و عدم الخضوع لليأس -رغم الاتصالات شبه المعدومة التي كانت بين المناطق- و هي رسالة أيضا لكل التيارات السياسية التي كانت متردّدة في الانضمام للجبهة و بالتالي للثورة. أمّا الأهداف الخارجية فتتمحور حول :
- لفت أنظار الرأي العام العالمي للقضية الجزائرية و الأوضاع المزرية التي كان يمرّ بها الشعب الجزائري.
- اختيار تاريخ 20 أوت لم يكن اختيارا عفويا و إنّما جاء تزامنا مع ذكرى نفي ملك المغرب "بن يوسف محمد" الملقب "بمحمد الخامس" إلى مدغشقر. و كانت تهدف

هذه المناسبة إلى خلق شعور تضامني بين شعوب الشمال الإفريقي في وحدة المصير المشترك بينها.(25)

و بغضّ النظر عن الإعداد للهجوم منذ أواخر جوان 1955، مرورا بالاستعداد له و تنفيذه في منتصف نهار يوم 20 أوت 1955 لعدّة اعتبارات و وصولا إلى النتائج التي حققها و التي أبرزها على الإطلاق، تحطيم أسطورة الجيش الفرنسي الذي لا يقهر من جهة و بعث روح القتال و التضحية لدى أفراد جيش التحرير و الشعب من جهة أخرى، فإنّ هذا الحدث التاريخي أظهر إلى الوجود عبقرية قائد و صف بأنّه رجل عظيم، سيّد نفسه، قاس على نفسه و على رجاله...و لكنّه في نفس الوقت مناضل محنّك و سياسي كان يحسن اختيار القرار و يزن إمكانيات تغيير موازين القوى... لأنّ ذاكرته كانت لا تزال تحتفظ ببقايا بشاعة جرائم الثامن من مايو سنة 1945...(26).

إذن فجذور الهجوم الشامل على الشمال القسنطيني تعود بنا إلى مرحلة نهاية الحرب العالمية II و إلى أحداث 8 مايو 1945 من جراء القمع الرهيب الذي تعدّى كل حدود الاحترام للجنس البشري (27). من هنا يمكننا القول بأنّ موقف المستعمر من هذا الحدث كان يشبه في وحشيته ما قام به بعد مظاهرات الثامن مايو 1945 "السلمية" !؟ معنى هذا أن الجزائريين سواء كانوا مسالمين في مطالبهم المشروعة أو متذمرين من هذا الوجود الأجنبي فجزاؤهم واحد !!!

و حتى و إن كان الحدثين متباعدين في الزمن و متقاربين في المكان، فإنّ ذكريات الأوّل لن تزول لأنّ كل عائلة جزائرية مرّت بامتحان صعب من جرّاء ذلك الحدث (28)، أو حتى لما لا يمكن اعتبار العملية ذات بعد انتقامي من جرّاء ما حدث في مدينة "سكيكدة". و مهما يكن من أمر فإنّ هذا الهجوم قد أثبت للاستعمار و للعالم القدرات الحربية لجيش التحرير الوطني في مواجهة الجيش الاستعماري (29). كما نضيف في نهاية هذا العنصر حدث هام و هو إنهاء مهام "سوستال" قبل الأوان، بدليل ما ذكره "إيف كورير" "Yves COURRIERE" في كتابه " Les fils de la Toussaint" بأنّ أحداث 20 أوت 1955 كانت نهاية مرحلة و بداية أخرى: نهاية مرحلة احتمال المصالحة، و بداية الحرب الحقيقية (30). و الأهمّ في كل هذا أنّ هذا الهجوم التاريخي ساهم بقسط كبير في تدويل القضية الجزائرية و تسجيلها لأوّل مرّة في جدول أعمال الجمعية العامّة للأمم المتحدة في 30 سبتمبر 1955 .

رابعا: <u>البوادر الأولى للأزمة داخل الجبهة</u>

إنّ ما حدث بعد هجومات 20 أوت 1955.كان مغايرا لما كان يتطلّع إليه الشعب. فظهرت أولى الخلافات التي أدّت إلى الانشقاقات التي كادت أن تعصف بالثورة ! لقد عرفت جبهة التحرير مرحلة "تكوين" صعبة، جعلت منها "تحالف" ضمّ مجموعات متباينة، إن لم نقل متناقضة، تمحورت أهدافها داخل جبهة التحرير. و نظرا

لهذا المزيج الغير الطبيعي، كان لا بدّ من ظهور الاختلافات بين الوطنيين حيث تمّ تلخيص هذه الانشقاقات في جملة من النقاط منها: الصراع بين السياسيين و العسكريين و بين الداخل و الخارج (31)، و الحرب التي نشبت بين الجبهة و الحركة الوطنية المصالية التي اعتبرت حينها من الحركات المناوئة لجبهة التحرير (32) و حتى الانشقاقات في الداخل...

إنّ الصراع بين السياسيين و العسكريين ظهر للوجود منذ التحاق "عبان رمضان" بصفوف الجبهة بعد إطلاق سراحه من طرف السلطات الاستعمارية (33) فاتصلت به القيادة الداخلية للجبهة المتمثلة في أشخاص : "كريم بالقاسم" و "عمر أعمران" و عرضت عليه فكرة الالتحاق بصفوفها. خاصة و أنّ الجبهة كانت في أمسّ الحاجة إلى تدعيم بشري بعد فقدانها أكثر من نصف أعضائها بين شهيد و سجين و في المهجر. فقبل دون تردّد و أسندت له مهام مساعدة "رابح بطاط" قائد الناحية الرابعة (الوسط)، و القيام بالدعاية. و كما يقال بالعامية: "أن يلعب بالناي" " Jouer de la Flûte "(34). فقبل "عبان" المهمّة و قال:"من موسيقى إلى موسيقى، لما لا قائد جوق؟" فجاءته الفرصة لماّ ألقي القبض على "بطاط" في 23 مارس 1955. و في غياب "بوضياف"، اتّفق "كريم" و مساعده "أعمران" مسؤولي ناحية القبائل على تعيين "أعمران" مسؤول للناحية الرابعة و تعيين "عبان" مسؤولا على العاصمة، التي أصبحت تتمتّع باستقلالية تامّة . و إذا أضفنا أنّ "عبان رمضان" كان يعتبر من المثقفين باعتباره حائز على شهادة بكالوريا، فهذا حتما سيجعل منه رجلا سياسيا بالدرجة الأولى.

من هنا كانت بدايته السياسية في صفوف الجبهة كمسؤول بعد اعتقال "بطاط"، فيقدم على نشر وثيقة باسم جبهة التحرير الوطني و جيش التحرير الوطني، و كان ذلك يوم 1 أفريل 1955 . و فيما حملته هذه الوثيقة أنّه: حذّر كلّ الذين يحاولون زرع الفوضى و البلبلة و أشار إلى الذين يلجئون إلى الكذب و الافتراء و أخيرا توجّه بنداء للجزائريين "تعالوا لتقوية صفوف جبهة التحرير الوطني. إنّ هذا المنشور كان موجّها إلى كل الذين حاول "جاك سوستال" التقرّب منهم، سواء كانوا "مصاليون" أم "مركزيون" أو حتى من العلماء. و كانت سياسة "سوستال" واضحة في محاولة عزل الجبهة في الجبال قبل محاولة القضاء عليها. و لهذا كان لا بدّ عليه أن يعمل على إيجاد "القوّة الثالثة" " La 3ème Force " مع الطبقة السياسية المعتدلة. فكان على "عبان" إفشال إستراتجية "سوستال"، فأقدم مرّة أخرى على نشر وثيقة جديدة في جوان 1955 (35)، ذكّر فيها بما جاء في بيان أوّل نوفمبر و حذّر تحذيرا شديدا كل من تسوّل له نفسه قبول مقترحات "سوستال"..و من هنا بدأ نجم "عبان رمضان" قائد "الأوركسترا" يسطع في سماء الجزائر كقائد محنّك بإمكانه قيادة السفينة التي كانت على وشك الغرق.

أمّا طبيعة الصراع بين الداخل و الخارج، فيمكن إدراجه ضمن الخلاف الذي اشتد في مرحلة ما من مراحل الثورة بين زعماء الثورة التاريخيين (الذين كان جلّهم في الخارج) و زعماء الثورة الجدد (و الذين كان يتزعّمهم عبان رمضان).

لقد ذكر "علي كافي" في مذكراته أنّ عبان لم يكن له توجّها يساريا و لا طموحات إيديولوجية، إنّما كانت رغبة في بسط نفوذه على الثورة، و منه نزع مقاليدها من جماعة الخارج، وهذا ما تضمّنته فيما بعد نتائج مؤتمر الصومام فيما يخص أولوية الداخل عن الخارج .(36)

و لعلّ ما يبرّر موقف جماعة الخارج هو أنّ عناصرها كانت قد عملت كلّ ما في وسعها، قبل بداية الثورة، لاحتواء الخلاف بين جماعة المركزيين و أنصار الثورة المنظمة، في إطار حركة انتصار الحريات الديمقراطية. فكانت تسعى لتحقيق المصالحة، لكنّها لم توفّق في ذلك ممّا دفعها إلى عقد اجتماعات في سويسرا مع بوضياف قصد التحضير للثورة المسلّحة، و هو ما وقع فعلا. (37) لكن حقيقة الصراع بدأت لمّا لم يتمكّن وفد الخارج من حضور فعاليات مؤتمر الصومام، بالرغم من وجوده في الحدود الليبية الجزائرية، إلاّ أنّ لا أحد جاء لنقلهم إلى الداخل، و لا ندري ما هي الأسباب الحقيقية ... ربّما يكون عبان قد تصرّف حسب "منطق مكيافيللي ، و هنا تكمن نقطة الاستفهام (38).أمّا عن الصراع الدموي الذي دار بين جبهة التحرير الوطني و الحركة المصالية، سواء في فرنسا أو داخل الجزائر (39)، فهو امتداد للخلافات التي ظهرت في حركة انتصار الحريات الديمقراطية قبيل اندلاع ثورة نوفمبر. إلاّ أنّ MTLD بقي حزبا سياسيا في أعين مناضليه و ذلك إلى غاية انفجاره سنة 1954 ، لأنّه سار وفق نظرية بسيطة متمثّلة في تجذّره داخل فئات الشعب المختلفة في القاعدة. و حتى في القمّة كانت أعماله معروفة عند عامّة الشعب (40).

من هذا المنطلق، لا يمكن لمصالي الحاج أن يتصوّر نفسه خارج السّباق، و هو الذي يعتبر نفسه روح الحركة الاستقلالية، خاصّة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر (41). و بمجرّد ميلاد جبهة التحرير الوطني، سيقوم بإنشاء الحركة الوطنية الجزائرية في ديسمبر 1954 (42)، التي ستدخل في صراع دموي ضدّ الجبهة و الذي سيحاول من خلاله وضع النواة الأولى لجيش تحرير وطني تحت مسؤولية مقاتلين من الحركة الوطنية الجزائرية و الذين سينشطون تحت قيادة سياسية للحركة (43). لكن النهاية كانت وخيمة على الحركة الوطنية التي أنشأها مصالي. و قد يكون "مصالي" نفسه أدرك في مرحلة ما أنه فقد كلّ شيء في الجزائر... و هنا تستوقفنا هذه العبارات: "أنّ الخلافات و الصراعات الدموية التي نشبت بين جبهة التحرير الوطني و أنصار مصالي الحاج بعد اندلاع الثورة أفقدت الجزائر إطارات المستقبل...، لو كان مصالي يدرك أنّ أوّل نوفمبر فتح المجال أمام صفحة جديدة في

تاريخ الجزائر، و أنّ كل صفحة تتطلب رجالا جدد، و لو بارك حرب التحرير منذ البداية, بدل أن يعتقد أنّه الزعيم الوحيد، لكان بإمكانه أن يصبح رئيسا للجزائر المستقلة بدون منازع..." (44)

هكذا صار النزاع من 1955 إلى غاية تاريخ الاستقلال سنة 1962 في معركة طويلة و مريرة، أين رفع فيها شعار البقاء للأقوى (45).

الإحالات و الهوامش

1-Kaddache Mahfoud, Les absents du rendez-vous du 1er novembre, la nuit rebelle..p 20.
2-Ibid.., p 20.
3-Ait Mouhoub Salima, Comment et par qui la révolution a été préparée ? Revue archives d Algérie, les dossiers de la révolution, N 01, novembre 2004, p 33.
4-Ibid.., p 33.
5- Id.., p 33.
6- Ce paragraphe a été extrait de : Les Origines du 1er Novembre 1954, de son auteur BENKHEDDA, paru aux éditions Dahlab, Alger 1989, et rapporté par la revue : Archives d'Algérie en page 32.
7- Ait Mouhoub Salima.., op.cit.., pp 34-35.
8- Kaddache Mahfoud.., op.cit.., p 20.
9- Ait Mouhoub Salima.., op.cit.., pp 34-35.
10- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 1954-1956 et le Congres de la Soummam dans la révolution, casbah éditions, Alger, 2000, p 9.

11- أزغيدي (محمد لحسن)، الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائري، 1956-1962، م.و.ك، الجزائر 1989، ص 73
12- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 1954-1956.., op.cit.., p 40.
13- استشهد بن عبد المالك رمضان، يوم 05 نوفمبر 1954 بالقرب من قرية "وليس" Willis الساحلية التي تحمل اليوم اسم الشهيد، و الواقعة داخل تراب ولاية مستغانم.
14- الشهيد ديدوش مراد، استشهد و عمره 28 سنة، و كان ذلك خلال معركة بوكركر يوم 1955/01/18، و قد خلفه زيغود يوسف في قيادة الناحية العسكرية الثانية(الشمال القسنطيني) غير أنه لم يعمر فيها طويلا هو الأخر و استشهد بعد أحداث 20 أوت 1955، أنظر:
-Mauss-Copeaux Claire, Algérie, 20 aout 1955, insurrection, répression, massacres, petite bibliothèque Payot-Rivages, Paris, 2013.
15- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 1954-1956.., op.cit.., p 40.
16- STORA (Benjamin) et DAOUD (Zakia), Ferhat Abbes, une autre Algérie, Casbah éditions, 1995, pp 221.
17- Ibid.., p 222.
18- Id.., p 223.
19- Belhocine Mabrouk, Le Courrier : Alger-le Caire 1954-1956.., op.cit.., p 43.
20- عباس محمد، ثوار... عظماء، شهادة 17 شخصية وطنية،دار هومة للنشر، 2003، الجزائر، ص 355
21- أزغيدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص 88.
22- المرجع نفسه، ص 90.
23- شريط (عبد الله)، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1955، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1995 ص ص 372 –376
24- أزغيدي (محمد لحسن)، مرجع سابق، ص ص 92-93

25 - رزاقي (عبد الحمن)، " 20 أوت 1955-1956 الذكرى المزدوجة ليوم المجاهد"، مجلة رسالة المسجد، 22 محرّم 1427 هـ / 21 فيفري 2006 –الجزائر، ص.

26 - MEYNIER (Gilbert), Histoire Intérieure du FLN 1954-1962, Casbah éditions, 2003, Alger, PP 11-12

27- مخالد (بوسيف)، "تأملات حول يوم 20 أوت 1955" مجلة أضواء، العدد 403، 1991/09/05، (ذكر في كتاب الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، بمناسبة الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003 بجامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص ص 169-174)

28- HARBI (Mohamed), Une Vie Debout, Mémoires politiques, Tome 1, 1945-1962 Casbah éditions 2001, Alger, p.48

29- BOUDIAF (Nacer), KASSOUL (Aïcha), MAOUGAL (Mohamed Lakhdar), Elites Algériennes, Histoire et Conscience de Caste, éditions APIC, Alger 2004, P 169.

30- ذكره عباس محمد في كتابه: ثوار عظماء....، مرجع سابق..ص 360. و لمزيد من المعلومات راجع سلسلة كتب "إيف كوريير" الأربعة فيما يتعلّق بحرب الجزائر و خاصة منها الكتاب الأوّل Les Fils de la Toussaint من مكتبة أرتمي فايار، باريس....

31- EVENO (Patrick) et PLANCHAIS (Jean), La Guerre d'Algérie, Dossiers et Témoignages réunis, édition Laphomic, Alger 1990, P.169

32- BENJAMIN (Stora), Algérie Histoire Contemporaine 1830-1988, éditions Alger 2004, P.153

33- أطلق سراح عبان رمضان من طرف السلطات الفرنسية يوم 22 جانفي 1955، بعد مكوثه في السجن مدّة 5 سنوات فالتحق بمسقط رأسه في قرية "عزروزة" ببلاد القبائل.

34- Belhocine (Mabrouk), op.cit.., p 42

35- Ibid.., pp 42-43.

36- KAFI (Ali), Mémoires du Président Ali Kafi , du militant politique au dirigeant militaire 1946-1962 éditions Casbah, Alger 2003, P.P 121-123.

37- مقتطفات من تصريح أحمد بن بلة، لصحفي جريدة : لوماتن من إقامته الدائمة بمدينة لوزان بسويسرا، أورده: حميد عبد القادر في كتابه:"عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة " ، ص 18

38- حميد (عبد القادر)، عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة، منشورات الشهاب، 2003، باتنة، ص 26

39- Eveno (Patrick) et Planchais (Jean).., op.cit.., P.169

40- Meynier (Gilbert).., op.cit.., P .28

41- Madi (Mustapha), Réflexions, Messali Hadj 1898-1998, Parcours et témoignages, Ouvrage collectif, Casbah éditions Juin 1998, P.29

42- STORA (Benjamin) et DAOUD (Zakia).., op.cit.., P.410

43- Madi (Mustapha).., op.cit.., P.33

44- الإبراهيمي (أحمد طالب)،" قراءة في الجزء الأوّل من مذكراته"، جريدة الخبر ، العدد 4671، 06 أفريل 2006، الجزائر، ص 04

45-STORA(Benjamin), Algérie Histoire contemporaine.., op.cit..,p 153.